نظرية الكسب عند الاشاعرة

د.رائد سالم شريف(*)

ملخص البحث

تنقسم الأفعال إلى قسمين:قسم اضطراري، لا شأن للإنسان به، تخليقا أو توصيفا، مثل: حركة الارتعاش، ودقات القلب، وحركة المعدة ،وكونه ذكرا أو أنثى، وهذا القسم لا يسأل عنه العبد ،ولا يثاب ولا يعاقب عليه، وهو مخلوق لله تعالى بإجماع أهل الملة، وقسم اختياري، يرى فيه العبد أنه بين أمرين: الشكر والكفر، والهدى والضلال، والحق والباطل، والفجور والتقوى، وهنا انقسم الناس في نسبة الفعل وتوجه الإنسان وتخصيصه طريقا دون أخر ،فذهبت الجبرية إلى أن هذا القسم هو خلق الله تعالى ولا مدخل للعبد من ذلك من قريب أو بعيد، فالإنسان ريشة في مهب الريح، تقلبها يد الأقدار كيفما تشاء، في حين ذهبت المعتزلة إلى أن الإنسان خالق ومختار، واختياره محض، دون أن يكون ذلك لله في ذلك شيء لا من قريب ولا من بعيد ؛ فيصبح الإنسان وفق نظرتهم هذه خالقا لأفعاله،وموجدا لأعماله،و ذهب الاشاعرة، إلى إثبات حلقة مفقودة بين جبر الإنسان، واختياره المطلق وهي الكسب.

وينهض بحثنا على بيان معنى الكسب ودليله وأهمية إثباته ، وهذه الأمور وغيرها مضمون البحث.

(*) مدرس في قسم علوم القران والتربية الإسلامية،كلية التربية،جامعة الموصل.

Theory gain when Asharis

Dr .Raid Salem Sharif

ABSTRACT

Acts can be divided into two divisions:

The compulsory section is that man has nothing to do with it in creation nor in depiction, stomach movement, whether she/he is a male or female. This section man never asks nor is he awarded, nor punished on it. He is merely a creature for Allah be He exalted by the sect unanimously.

And an optional section in which man finds himself between two situations: thanks and path; the right and the wrong; debauchery and act, man's tendency, his allotment of on path other than another . Fatalism has gone saying that this section is Allah be He exalted creation, and that no access for man on that sooner or later. Man is a feather in the windward, altered by destiny hand in whatsoever manner it wishes, whilst the secluded said that man is a creator and elected. His choice is mere regardless what Allah's deeds were in connection with. Thus in their perception, man has become a creator of his acts, a founder of his deeds .Saharans have gone to prove a missing circle between man's compulsoriness and his absolute choice which is gaining.

Our research promotes the meaning of gaining , its evidence and the importance of its proof. Such matters and others are the research content.

مقدمة:

الحمد لله خالق الأشياء ومحكمها وموجد البرايا ومعدمها ، وناقض العزائم ومبرمها ،لا شريك له في الخلق والتصوير ، ولا شبه له في الفعل والتقدير ، سابق الأشياء في القدم ، المنزه عن الخرس والصمم ، وهادى المهتدين بفضله ، وخاذل الضالين بعدله ، والعالم بكل مظهر ومكنون، الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، الواحد الملك التواب غافر

الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، الموصوف بأكمل الصفات ، المتعالي عن الوصف بالآفات . أحمده على أفضاله وإنعامه ، وأشكره على نواله وإلهامه . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله للخلق داعيا ، وإلى الجنة هاديا ، ختم به النبيين وأنزل عليه قوله الحق المبين ، وجعله معجزة له في الأولين والآخرين ، وشفى به صدور المؤمنين وجعله حجة على الضالين ،وبعد:

فإن الإيمان بالقدر من أصول الدين والركن السادس الذي يجب على المؤمن بالإسلام الاعتقاد به، وهو موضوع متشعب الفروع والجذور، ومتعلق بمسألة الجبر والتخيير وعند الاشاعرة الكسب نقطة الارتكاز في هذه المسألة، فالبحث عرض وتحليل لنظرية الكسب عند الاشاعرة.

واخترت هذا الموضوع لأسباب منها:

1-موضوع القدر وهو أصل الكلام في الكسب، كان مثار جدل، ونقاش طويل، لم يسد بابه إلى الآن؛ فما زلنا نسمع من أشخاص، يقولون: لا نصلي، لأن الله لو شاء لصلينا، أو أننا لم نهتد لأن الله لم يهدنا، أو أننا لا نزكي لأن الله أراد ذلك، ويعلقون أسباب الفسق والفجور على القدر؛ لذا أردت أن أبين بعبارة تجمع بين الأصالة والمعاصرة ،مفهوم الكسب الذي أختص به الإنسان.

2- موضوع الجبر والاختيار للإنسان موضوع حساس وخطير، ومسألة الكسب فيه نقطة صعبة ودقيقة، لذلك يضرب بها المثل فيقال: هذا أدق من كسب الأشعري، وقيل فيه:

يقول وقد رأى جسمي كخصر له شبه لما بي بالسوية

قلت هما من الموجود لكن كوجدان اكتساب الأشعـــري

3- نرى في زماننا، حاجة ملجئة؛ لسبر غوره، وبيان معناه، ودليله، وتوضيح ذلك، بالأمثلة ، معتمدين على الأدلة العقلية، والنصوص الشرعية القطعية،وكلام أئمتنا في ذلك، سائلين المولى جل جلاله، أن يمن علينا بالتوفيق.

خطة البحث:

قسمت البحث، على: مقدمة وعرض وخاتمة وفهرست للمراجع. وشملت المقدمة: أسباب اختيار الموضوع، وبيان أهميته، والخطة التي سرنا عليها .وأما العرض فيشمل: تمهيدا ،وأربعة مطالب، فالتمهيد ذكرت فيه تاريخ ظهور أصل مسألة الكسب، وأن السلف تكلموا في

القدر .والمطلب الأول:ذكرت فيه أقوال الفرق الإسلامية في أفعال العباد الاختيارية، والمطلب الثاني تناول معنى قدرة العبد، والفرق بين القدرة والاستطاعة، وكونها مع الفعل أم سابقة له؟ وصولا إلى الكلام على الكسب ومعناه في المطلب الثالث، أما إثباته، وبيان أهميته، مضمون المطلب الرابع، مع خاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه .

ومنهجي في البحث هو أن انتقل بالقارئ من الساحة الواسعة ثم أضيقها شيئا فشيئا لأصل به إلى صلب الموضوع فانتقلت من القضاء والقدر إلى الكسب .

وجعلت لكل صفحة هامشا مستعملا الرموز المعروفة في البحوث الحديثة معتمدا على كتاب أصول كتابة البحث العلمي لد.يوسف المرعشلي بسبب تخصصه في مجال الدراسات الدينية.

لازدحام الهوامش بذكر المهمات آثرت أن أجعل الأعلام الواردة في نهاية البحث بصورة مستقلة وحسب الأحرف الهجائية.

ومن أهم الدراسات التي تناولت الموضوع كتاب شرح العقائد النسفية للتفتازاني ، قديما،والنظام الفريد لمحمد محي الدين عبد الحميد،حديثا.

والله أسأل أن يتقبله مني قبولا حسنا، و يجعله في ميزان حسناتي وحسنات من تجشم عناء المتابعة، والتقويم، مع شكري المسبق لهم، إن الله على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على الحبيب الطبيب سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

ظهرت مسألة القدر، وكون الإنسان مسيرا أم مخيرا منذ عهد النبوة وزمن الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم. فعن عمران بن حصين قال:قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال: « **نعم** » . قال: فلم يعمل العاملون ؟ قال: « **كل يعمل لما خلق له أو لما ييسر له** »[1] وعن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن حصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم ، ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم (ﷺ) وثبتت الحجة عليهم؟ فقلنا: بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم قال: أفلا

يكون ظالما؟ قال: ففزعت من ذلك فزعا شديدا!! وقلنا: كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون ؛ فقال لي : يرحمك الله ، أني لم أرد بما سألتك عنه إلا لأحرز عقلك ، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله (ﷺ) ، فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلونه به مما آتاهم به نبيهم (ﷺ) ، وثبت عليهم الحجة؟؟ فقال :«لا بل شيء قضى عليهم ،ومضى فيهم »قالوا: ففيم نعمل إذا؟ قال: «من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يسره لها» وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[سورة الشمس:7،8](2). وفي رواية أخرى عن ابن الديلمي قال : وقع في نفسي شيء من القدر ؛ فأتيت أبي بن كعب ؛ فقلت: يا أبا المنذر ، وقع في نفسي شيء من القدر ، خفت أن يكون فيه هلاك ديني، وأمري!! فقال: يا بن أخي، إن الله عز وجل لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم .ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ،ولو أن لك مثل أحد ذهبا أنفقته في سبيل الله، ما قبله الله منك ؛ حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وإن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ،وإنك إذا مت على غير هذا دخلت النار ،ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود؛ فتسأله؛ فأتيت عبد الله بن مسعود؛ فسألته؛ فقال: مثل ذلك، وقال لي: لا عليك أن تأتي حذيفة بن اليمان؛ فتسأله؛ فأتيت حذيفة بن اليمان؛ فسألته؛ وقال لي: مثل ذلك، وقال: ائت زيد بن ثابت؛ فسله؛ فأتيت زيد بن ثابت؛ فسألته؛ فقال: سمعت رسول الله (ﷺ)يقول:« إن الله عز وجل لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أن لك مثل أحد ذهبا أنفقته في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنه إن مات على غير هذا دخل النار »(3). وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: لو أراد الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس وقد بين ذلك ،في آية من كتاب الله ، عز وجل، وفصلها ،وعلمها من علمها، وجهلها من جهلها ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾[صافات:63]

ونستنتج من الروايات الماضية، والتي ستأتي، أن الحديث في القدر ليس ممنوعا كما يظن بعض الناس، وأن للإنسان الحرية في البحث عن الحقيقة إذا ما خالجته الوساوس والأوهام، وعلى أهل العلم البيان، والنصيحة. ورضي الله عن صحابة رسول الله (ﷺ) الذين تعلموا من المربي العظيم كيفية السؤال ،وحرية النقاش، وكم نحن بحاجة إلى هذا الفهم العميق والسديد في حياتنا اليوم.

وسئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن القدر ؛ فأنشأ يقول:

ما شئت كان وما لم أشـــأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علـــمت ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلـــت وهذا اعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن(4)

وعلى نحو قول الشافعي رضي الله عنه في إثبات القدر لله ووقوع أعمال العباد بمشيئة الله درج أعلام الصحابة، وإلى مثل ذلك ذهب فقهاء الأمصار، كالإمام الأعظم أبي حنيفة والاوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد واحمد بن حنبل وغيرهم رضي الله عنهم (5)

المطلب الأول

أقوال الفرق الإسلامية في الأفعال الاختيارية للعباد

أجمع أهل الملة على أن الله خالق العباد، وعلى أنه خالق أفعالهم الاضطرارية، كانتفاضة الحمى ،وحركة القلب، والمعدة ، وحركة المرتعش، وكحركة الأفلاك ، ونمو الأشجار، والنباتات، والموت ، مما لا يسأل عنه العبد ،ولا يتعلق به ثواب أو عقاب، وحصل الاختلاف في الأفعال الاختيارية، كالإقبال على الدراسة ، والطعام والشراب، وأداء الصلاة ،والصيام.

وهنا مسألتان:

الأولى: هل الفعل الموجود المنسوب إلى العبد، هو قدرة الله تعالى، أم قدرة العبد؟

والثانية: هل للعبد كسب أم لا؟

أما جواب المسألة الأولى:

قال أكثر المعتزلة: أفعال العباد واقعة بقدرتهم وحدها، على سبيل الاستقلال بلا إيجاب، بل باختيار بمعنى: أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية، وكان الأوائل منهم، يتحاشون إطلاق لفظ الخالق على العبد، ويكتفون بلفظ الموجد والمخترع ونحو ذلك. وحين رأى الجبائي وأتباعه أن معنى الكل واحد ، وهو المخرج من العدم إلى الوجود؛ أطلق لفظ الخالق على العبد [6] . ولا يلزم هذا أن يكفر المعتزلة لان ظاهر مذهبهم يوحي بأنهم يدعون وجود خالقين غير الله تعالى لان الإشراك هو إثبات الشريك في الإلوهية ، بمعنى: وجوب الوجود ، أو بمعنى: استحقاق العبادة ، كما لعبدة الأصنا م ، والمعتزلة لا يثبتون ذلك بل لا يجعلون خالقية العبد كخالقية الله تعالى لافتقار العبد إلى الأسباب والآلات التي هي بخلق الله تعالى.[7]

وذهب الجبرية إلى أن ألأفعال كلها خلق الله تعالى، لا مدخل للعبد فيها البتة ، فهو مجبور ومقهور على فعله، ومثله، مثل: ريشة معلقة بالهواء، تقلبها الريح حيث تشاء، والى مذهبهم يشير الشاعر بقوله:

ما حيلة العبد والأقـــدار جاريـــــة   عليه في كل حال أيها الرائـــــي
ألقاه في اليم مكـــــتوفا وقـــــال له   إياك إياك أن تبتل بالـــــــماء[8].

وأجابه بعض أهل السنة بقوله:

إن حفه اللطف لم يمسه من بلـل   ولم يـــــبال بتكتـــيف وإلـــقاء
وإن يكن قدر المولى بغرقـــته   فهو الغريق ولو ألقـــي بصحراء[9].

لعل هذا ليس جوابا ظاهرا، ويمكن الرد: بما أنه مكتف؛ إذا هذا ليس فعلا اختياريا، وإنما فعل اضطراري، وما من أحد يقول: أن الفعل الاضطراري كحركة المرتعش فعلا اختياريا الذي مدار الخلاف عليه.

لا يسأل الله عن أفعاله أبـدا   فهو الحكيم بحرمان وإعطاء
يخص بالفضل أقواما فيـــحرمهم   وضد ذلك لا يخفى على الرائي[10].

وذهب طائفة من المتكلمين، من أهل السنة وغيرهم، إلى أن الأفعال واقعة بالقدرتين معا، وهذه الطائفة تختلف فيما بينها: فمنهم من يقول أفعال العبد واقعة بمجموع القدرتين: قدرة الله ،وقدرة

العبد، على أن تتعلق القدرتان جميعا بالفعل نفسه، وهذا مذهب الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني، والنجار من المعتزلة؛ إذ لا يمتنع عندهما اجتماع مؤثرين على أثر واحد. ومنهم من يقول: أفعال العباد واقعة بالقدرتين على أن تتعلق قدرة الله بأصل الفعل وتتعلق قدرة العبد بوصف الفعل من كونه طاعة، أو معصية، أو مباحا، إلى غير ذلك من الأوصاف التي لا توصف بها أفعاله سبحانه وتعالى، كما في لطم اليتيم تأديبا، أو إيذاء ؛ فإن اللطم واقع بقدرة الله تعالى وتأثيره ، وأما كونه يعد طاعة؛ إن قصد تأديبه ومعصية؛ إن قصد إيذاؤه؛ فواقع بقدرة العبد وتأثيره.[11]

وذهب إمام الحرمين إلى أن أفعال العباد الاختيارية واقعة على سبيل الوجوب، وامتناع التخلف بقدرة يخلقها الله تعالى في العبد؛ إذا قارنت حصول الشرائط وانتفاء الموانع.[12]

وذهب أهل السنة عموما، وعلى رأسهم الإمام أبو الحسن الأشعري إلى أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى، وحدها، وليس لقدرة العباد تأثير فيها، بل الله تعالى أجرى عادته بأن توجد في العبد قدرة واختيار ؛ فإذا لم يكن هناك مانع؛ أوجد فيه فعله المذكور مقارنا لهذه القدرة، وهذا الاختيار ، اللذين أوجدهما الله تعالى فيه؛ فيكون فعل العبد – على هذا – مخلوقا الله تعالى إبداعا وإحداثا ، ومكسوبا للعبد. والمراد بكسبه: مقارنة وجود الفعل لقدرته واختياره من غير أن يكون هناك تأثير منه، أو مدخل في وجوده، سوى كونه محلا.

المطلب الثاني

قدرة العبد

اختلفت كلمة العلماء في تفسير قدرة العبد؛ ففسر الأشعري قدرة الطاعة بأنها: العرض المقارن لفعل الطاعة؛ وأورد على هذا الكلام: أن تكليف الله تعالى عباده بفعل الطاعات واقع منه سبحانه قبل فعل العبد الطاعة؛فإذا فسرنا القدرة على الطاعة بهذا التفسير ؛ لزم أن يكون المكلف في وقت التكليف عاجزا عن فعل ما كلف به، وهو ممنوع الوقوع.[13]

وفسرها إمام الحرمين: بأنها سلامة الأسباب والآلات ، والمراد بالأسباب: الأشياء. والمراد بالآلات: الأشياء التي تكون بها المعونة على فعل شيء.[14] فالماء الذي يتوضأ به مريد الصلاة، من الأسباب العرفية لفعل الوضوء، والأعضاء التي تحاول بها فعل الطاعة، الآلات لها.

ورجح الإمام الصاوي في هذه المسألة مذهب إمام الحرمين، لكن عبارة الأشعري أوفق بمذهب أهل السنة من أن الأفعال كلها مخلوق الله وليست قدرة العبد مؤثرة فيما قارنها من الأفعال، وعبارة إمام الحرمين محتملة له.[15]

وأحسن ما نراه في الجواب عن هذا أن نقول: إن القدرة على فعل الطاعة على ضربين: الأول: قدرة واستطاعة، بمعنى: تمكين الله تعالى العبد من أن يفعل أو يترك بمحض اختياره، وهذه هي مناط الأمر والنهي، وهي المصححة للفعل، ولا شك أنه يجب فيها بهذا المعنى أن تقرن الفعل. والثاني: قدرة واستطاعة يجب معها وجود الفعل وهي بغير شك مقارنة للفعل لا سابقة عليه وقد أشارت نصوص الشريعة من الكتاب والسنة الصحيحة إلى هذين الضربين:

فالإشارة إلى الأول منهما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ **[آل عمران: من الآية97]**. وقوله سبحانه:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: من الآية 16].وفي قوله (ﷺ) لعمران بن حصين: (صل قائما فإن لم تستطع فعلى جنب)[16]. ومعلوم أن الحج والصلاة واجبان على المستطيع بمعنى التمكين من الفعل سواء فعل أم لم يفعل.

والإشارة إلى الضرب الثاني، في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾[هود: من الآية20]. وقوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً* الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ [الكهف من الآية 101].فالمراد بعدم استطاعتهم مشقة ذلك عليهم، وصعوبته على نفوسهم فنفوسهم لا تقبل عليه ولا تريده وإن كانوا قادرين على فعله متمكنين منه لو أرادوه.

وهذا إيضاح وبيان لما أجاب به العلماء من أن العبد قادر حين التكلف بالقوة القريبة لما أتصف به من سلامة الآلات وتوفير الأسباب[17].

المطلب الثالث

تعريف الكسب

اختلف العلماء في تعريفهم للكسب بعد إثباته: فالأشاعرة رحمهم الله لهم عبارتان: الأولى :أن الكسب هو ما يقع به المقدور من غير صحة إنفراد القادر به.والثانية:أن الكسب هو ما يقع به المقدور في محل قدرته. وذهب الماتريدية أن الكسب: " هو صرف القدرة إلى أحد المقدورين" [18]. والخلاف بين الاشاعرة والماتريدية لفظي لأن كليهما يقول بثبوت واسطة بين الحركة الاضطرارية والحركة الاختيارية، وأن لا جبر ولا قدر،لأن الأشعري لا يسمي ذلك فعلا للعبد حقيقة بل مجازا، وأبا منصور الماتريدي يسميه فعلا حقيقة لا مجازا.

ولتوضيح التعريف لدى الفريقين: فإن ثمة أربعة أمور يجب معرفتها ابتداء: أولها الإرادة السابقة على الفعل ، وثانيها: القدرة المقارنة للفعل ، وثالثها: نفس الفعل المقارن للقدرة عليه ، و رابعها: الارتباط والتعلق بين القدرة التي يكون بها الفعل نفسه والإرادة وبناء على ذلك؛ فمن العلماء من جعل الكسب هو: الإرادة التي هي العزم على الفعل، وتوجيه القصد، والنية إليه، ومنهم من جعل الكسب هو: التعلق بين القدرة والفعل.

وتوضيح العبارة الأولى هو أنّ (ما)في العبارتين (ما يقع به المقدور) و(ما يقع به المقدر) نكرة موصوفة، وهي إما واقعة موقع الارتباط بين القدرة والفعل؛ فلا يكون الكسب حينها مخلوقا؛ لأن الارتباط والتعلق أمر اعتباري. وإما أن نجعلها نكرة موصوفة واقعة موقع الإرادة الحادثة التي تتوجه نحو الفعل؛ فيكون الكسب حينها مخلوقا، ويكون معنى العبارة على هذا: الكسب هو: إرادة يقع بها المقدور.... الخ.

والمراد ب(المقدور) في العبارتين: الفعل، كالمشي، والحركة عموما، والمراد ب(القادر) في الأولى: العبد؛ فمعنى قولهم:(من غير صحة انفراد القادر به) من غير تجويز كون العبد منفردا بفعل ذلك المقدور، بل من غير صحة كون العبد مشاركا في فعل ذلك المقدور؛ إذ لا تأثير للعبد بوجه ما لا على الاستقلال، ولا على المشاركة،والله سبحانه المنفرد بعموم التأثير، وليس للعبد إلا

مجرد المقارنة، أو توجه القصد، وأما قولهم في العبارة الثانية: (في محل قدرته) بمحل القدرة، الجارحة، التي بها الفعل كاليد في الضرب والرجل في المشي والعين في البصر.

على أن هذا التعريف لم يخل من إيراد،إذ يفيد أن مذهب الاشاعرة يدل على أن العبد مختار في الظاهر لا غير وهو مجبور في الباطن، وأي قيمة لهذا الاختيار الظاهري مع القول: أن الله تعالى قد علم وقوع الفعل من العبد، وما علم الله وقوعه، فلا بد من وقوعه. ثم أنه سبحانه وتعالى قد خلق فيه القدرة على هذا الفعل،إذا لا خلاف بينهم وبين الجبرية إلا في الاختيار الظاهري إذ تقول الجبرية العبد مجبور ظاهرا وباطنا وهم يصيرون إلى القول: أنه مجبور باطنا وإن كان مختارا ظاهرا.

وقد سلم كثير من المحققين استلزام هذا الكلام للجبر باطنا وأجابوا عنه بقولهم:إن الله لا يسأل عما يفعل وهم يسالون، وهذا جواب لا يشفي غليل أهل النظر؛ لأن الجبرية لا ينكرون ذلك ؛ لذا نقول: لا شك أن ذوات المحدثات كلها- ومنها الأفعال التي تنسب إلى العباد- معلومة لله سبحانه وتعالى أزلا، وإذا كانت معلومة له سبحانه فهي عنده متميزة في أنفسها تميزا ذاتيا غير مجعول؛ لأن تعلق العلم بها تعلق انكشاف، وهو تعلق بغير تأثير كما هو معلوم ،ومن تميزها في ذاتها أن لها أسبابا ناشئة عن استعدادات ذاتية غير مجعولة أيضا، فإذا تعلق العلم الإلهي بها على ما هي عليه في أنفسها وبأنها يقتضيها استعدادها تعلقت الإرادة الإلهية بهذا الذي اختاره العبد بمقتضى استعداده فيصير مراده بعد تعلق الإرادة الإلهية مراد الله تعالى فاختياره الأزلي بمقتضى استعداده متبوع للعلم، المتبوع للإرادة، واختيار العبد فيما لا يزال تابع للإرادة باختيار فالعباد منساقون إلى فعل ما يصدر عنهم باختيار لا بالإكراه والجبر وليسوا مجبورين في اختيارهم الأزلي لأنه سابق الرتبة على تعليق الإرادة ولإيضاح ذلك أكثر، نقول: أن معنا أربعة أشياء مترتبة: أولها: اختيار العبد أزلا وهذا هو المعلوم ، والثاني: تعلق علم الله بهذا الاختيار ، والثالث: تعلق إرادة الله تعالى به ، والرابع: وقوعه وفقا للإرادة، وهذا الرابع الذي يقال: إن العبد مجبور فيه وعند التحقيق: لا جبر لأنه ما من شيء فيه يبرزه الله تعالى بمقتضى الحكمة ويفيضه على الممكنات إلا وهو مطلوبها بلسان الحال، وما حرم الله تعالى أحدا من خلقه شيئا من ذلك كما يشير إليه قوله

سبحانه: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: آية 50] أي الثابت له في الأزل مما يقتضيه استعداده الذي ليس مجعولا.[19]

أما توضيح الخلاف بين الاشاعرة والماتريدية لفظي فأنه مبني على تفسير الفعل والفرق بينه وبين الكسب فعند الأشعري الفعل ما وجد من الفاعل وله عليه قدرة لأنه حادث الذات والحوادث مستندة إلى الله تعالى أولا ، والكسب ما وجد من القادر وله عليه قدرة حادثة فلذلك نسمي تلك الواسطة بالكسب ولا نسميها بالفعل فالكسب التصرف في الحوادث والفعل هو التصرف في المعلوم.[20]

وعند الإمام الماتريدي – رحمه الله –: الفعل صرف الممكن من الإمكان إلى الوجود وهو من الله تعالى بغير آلة فالفعل عنده شامل للخلق والكسب ولم يثبت القرآن الكريم للقدرة الحادثة تأثيرا أصلا في الوجود ولا في صفة من صفات الله لقوله تعالى: ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ [الرعد من آية 16 وقوله تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ [فاطر: من الآية40] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: من الآية 62][21]

المطلب الرابع

أدلة إثبات الكسب

من النقل:

أ–من القرآن الكريم:

(1) قال الله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[الفرقان:2]. والفعل من جملة الأشياء بلا شك غير أن خلق الله للأفعال لا يستلزم أن يكون العبد مكرها عليها وليس بينها أي تلازم إلا فيما يتوهم فريق من الناس ذلك ؛لان التلبس بفعل ما يتوقف على أمرين اثنين: الأول هو وجود هذا الفعل في الخارج (أي وجود المقومات كلها المادية والمعنوية) والثاني: اكتسابه عن طريق

الانبعاث نحوه فالعبد مريد ومختار بوصفه كاسبا ومنبثا إليه لا بوصفه خالقا وموجدا لمقوماته وعناصره.(22)

(2) قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:23]. وفائدة إرسال الرسل وإنذارهم من أرسلوا إليهم بعد أن علم الله تعالى أن منهم من لا يثمر فيه الإنذار، إنما هو استخراج سر ما سبق به العلم من طواعية بعض المكلفين وإباء بعضهم الآخر، قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء: من الآية 165].فإن الله سبحانه لو أدخل فريقا من الناس النار لسابق علمه بأنهم لا يؤمنون بل يعيثون في الأرض الفساد إن خلقهم لكان شان المعذب منهم ما وصف الله تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه:134]. فأرسل سبحانه الرسل مبشرين ومنذرين ليستخرج ما في استعداد العباد من الطوع والإباء و ليظهر ما ثبت في الأعيان أزلا في عالم الإمكان قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال: من الآية42]. إذ بعد الذكرى وتبليغ الرسالة تتحرك دواعي الطوع من الطائعين أو الإباء من الآبين بحسب الاستعداد المعلوم لله أزلا فيترتب عليه الفعل أو الترك بمشيئة الله وإرادته التابعة للعلم ويترتب على ذلك الفعل أو الترك، الثواب والعقاب، وإنما قامت الحجة على العصاة والمذنبين؛ لأن الذي امتنعوا عن الإتيان به بعد بلوغ الدعوة، وظهور المعجزة، وهو الإيمان والطاعة، لم يكن أمرا ممتنعا لذاته، إذ لو كان ممتنعا لذاته؛ لما وقع من أحد أصلا، فوقوع الإيمان والطاعات من بعض العباد، يدل على أنها غير ممتنعة لذواتها، وإنما تمتنع لإباء ناشئ عن استعدادهم المعلوم لله أزلا باختيارهم السيئ.(23)

ونعود لنقول: إن المعلوم الذي هو استعداد العبد من حيث ثبوته أزلا غير مجعول فعلم الله تعالى يتعلق به أزلا على ما هو عليه في ثبوته غير المجعول، أي: لا تأثير لتعلق علم الله تعالى بإيمان زيد أو كفره، وتخصص الإرادة أزلا سبق به العلم، ثم تبرزه القدرة طبق الإرادة، قال تعالى:

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام:149]. لكنه لم يشأ إذ يسبق العلم بذلك لكون العلم ليس إلا كاشفا لما في الاستعداد المعلوم لله أزلا فلم تبرز القدرة إلا ما شاء الله تعالى فصح أن له الحجة البالغة على من حاول أن يتعذر عن نفسه ولهذا قال (ﷺ):(فمن وجد خيرا فليحمد الله)؛ لأن الله تعالى هو المتفضل بالإيجاد، ولا واجب عليه(ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)(24). فلأنه سبحانه ما أبرز بقدرته إلا ما هو من مقتضى استعداد العبد. (25).ولعل سائلا أن يسأل إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل:9]. ويقول:﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99]. وفي القرآن الكريم آيات أخرى تحمل نفس المضمون وهذا يثبت أن أرادة الإنسان أسيرة في قبضة الله عز وجل.

والجواب: أن هذه الآيات توضيح لحقيقة مستقلة أخرى، لا شك فيها، ولا نزاع، وهي: أن الله عز وجل لو شاء لأمدهم بلطف يجعلهم يختارون الإيما ن، والانصياع للحق دون أن يستجيبوا لشيء من أهوائهم ورعونتهم أو وساوس شياطينهم،ولكنه لم يشأ؛ كي يتجلى في طاعته الله معنى الجهاد والتكليف، وإلا لما أجر المجاهدون، والمستقيمون على الطاعة أي أجر على جهادهم؛ إذ لا جهاد أصلا حينئذ.هذا ما تعبر عنه هذه الآيات فليس لها علاقة بموضوع الكسب للإنسان.(26)

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة: من الآية286]. قال الإمام القرطبي- رحمه الله -:" قوله تعالى:﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ يريد الحسنات والسيئات قاله: السدي وجماعة المفسرين ،لا خلاف بينهم في ذلك، وهو مثل قوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾ والخواطر ونحوها ليست من كسب الإنسان، وجاءت العبارة في الحسنات لها من حيث هي مما يفرح المرء بكسبه ويسر بها، فتضاف إلى ملكه، وجاءت في السيئات عليها من حيث هي: أثقال، وأوزار ... ويظهر لي في هذا أن الحسنات هي

مما تكسب دون تكلف؛ إذ أكسبها على جادة أمر الله تعالى ورسم شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهى الله تعالى ؛ فيحسن في الآية مجيء التصريفين؛ إحرازا لهذا المعنى. وفي هذه الآية دليل، على صحة إطلاق أئمتنا على أفعال العباد كسبا أو اكتسابا ؛ولذلك لم يطلقوا على ذلك خلقا خلافا لمن أطلق ذلك من مجترئة المبتدعة، ومن أطلق من أئمتنا ذلك على العبد وانه فاعل؛ فبالمجاز المحض(27).

وقد ورد لفظ الكسب ومشتقاته في القرآن عشر مرات تبين أن مدار الثواب والعقاب عليه هي:

1-قال تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[البقرة: من الآية225].

2-قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [النساء:112].

3-قال تعالى: ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[الأعراف: من الآية39].

4-قال تعالى: ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[يونس: من الآية52].

5 -قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[الرعد: من الآية33].

6-قال تعالى: ﴿ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾[إبراهيم: من الآية18].

7 -قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾[إبراهيم: من الآية51].

8-قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ﴾[لقمان: من الآية34].

9-قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[الشورى: من الآية30].

10-قال تعالى: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[الطور: من الآية21].

ب- من السنة النبوية المشرفة:

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ كُنَّا فِى جَنَازَةٍ فِى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلاَّ وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً » . قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ

نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَقَالَ «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» . فَقَالَ «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» . ثم قرأ ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى *وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾»(28).

قال الإمام النووي – رحمه الله–: " وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد، وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمون، وإنما معناه: الإخبار من تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من إكساب العبد وصدورها عنه تقديرا منه"(29).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِى ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِىٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِى لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ».(30)

قال الإمام النووي–رحمه الله– في شرح هذا الحديث: " وفي الحديث إثبات القدر وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب الكفر في المشيئة والله أعلم ...وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها وقد سبق في أول كتاب الإيمان قطعة صالحة من هذا قال تعالى: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[الأنبياء :الاية 23].فهو

ملك الله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك في ملكه ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله.. وفي هذا الحديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم كما قال:﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[الليل:الآية 7].. والله أعلم".(31)

من العقل:

الدليل الأول: لو كـــــــان العبد موجدا للأفعال بالاختيار والاستقــــلال لوجب أن يعلم تفاصيلها ...فإن الماشي من موضع إلى موضع قد يشتمل على سكنات مختلفة وعلى حركات بعضها أسرع وبعضها أبطأ ولا شعور للماشي بذلك التفصيل الدقيق، فوقوع الفعل على الوجه المعين دون سائر الوجوه التي كان يمكن وقوعه عليها لأجل القصد إليه بخصوصه والاختيار المتعلق به وحده يستدعي العلم بالوجوه التي يمكن أن يقع كل فعل عليها ، وبإيثار الوجه المعين دون غيره يدل على وقوعها بغير أرادته واختياره.(32)

الدليل الثاني: لو كان العبد موجدا لفعله باختياره وقدرته استقلالا؛ لوجب أن يكون متمكنا من فعل كل عمل يقدم عليه وتركه، وإلا لم يكن قادرا عليه مستقلا بإيجاده؛ ولوجب أيضا أن يكون ثمة مرجح يرجح فعله على تركه، والفرض: أن صدور الفعل عن العبد جائز، لا واجب،وللزم ترجيح أحد الأمرين المتساويين بغير مرجح، وهو محال، وإلا لزم وجود المرجح، فهذا المرجح إما أن يكون من العبد باختياره؛ فيلزم الدور؛ لأنا ننتقل إلى صدور هذا المرجح منه، وهكذا وهو محال؛ فإذا المرجح من الله تعالى، وهو المطلوب.(33)

الدليل الثالث: أن فعل العبد ممكن في ذاته، وكل ممكن فهو مقدور الله تعالى، ولا شيء مما هو مقدور الله تعالى بواقع بقدرة العبد،لامتناع اجتماع قدرتين مؤثرتين على أثر واحد، وإذا ثبت هذا ثبت أن فعل العبد ليس بواقع بقدرة العبد ولكن هذا دليل صالح لمن لا يؤمن بوجود قدرتين مؤثرتين على أثر واحد.(34)

الدليل الرابع: هناك فرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة الارتعاش، ونعلم أن الأول باختيار دون الثاني وتحقيقه: أن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد؛ فالله تعالى يخلق الفعل والقدرة عليه بإجراء العادة؛ فلهذا جاز إضافة الفعل إلى العبد، وصح التكليف والمدح والذم والوعد والوعيد، فإنا لو لم نقل بالكسب لزم أحد الأمرين،إما الميل إلى الاعتراف بخلق العبد لفعله، وإما إلى الجبر، وكلاهما باطل، وبيان ملازمة أن صدور الأفعال لا يخلو إما أن يكون بقدرة العبد وإرادته أو لا، وعلى الأول يلزم الاعتزال، وعلى الثاني الجبر والصراط المستقيم هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهو القول: بأن الأفعال مخلوقة لله مكتسبة للعبد، فكما لا تنسب الأفعال إلى العبد من جهة الإيجاد والخلق كذلك لا تنـــــسب إلى الله تعـــــالى من جهة الكسب قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:96] فنسب الخلق إلى ذاته وقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: من الآية 286] أثبت الكسب للعبد ،فالأمر مضاف إلى جهتين مختلفتين كما تقو ل مثلا عن أرض يملكه ا شخص فإنها ملك لله تعالى تخليقا وملك للعبد بجهة ثبوت التصرف.(35)

الدليل الخامس: لو لم يكن للعبد فعل أصلا لما صح تكليفه، ولما ترتب استحقاق الثواب والعقاب على أفعاله.(36)

جـ_ أقوال فريق من الأئمة في الكسب:

قال الإمام أبو حنيفة –رحمه الله –: " والقضاء والقدر والمشيئة صفات في الأزل بلا كيف يعلم الله المعدوم في حال عدمه معدوما ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده ويعلم الله الموجود في حال وجوده موجودا ويعلم أنه كيف يكون فناؤه ويعلم الله القائم في حال قيامه قائما وإذا قعد قاعد علمه قاعدا في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث في المخلوقين، خلق الله تعالى الخلق سليما من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته له.(37)

قال الإمام الشافعي – رحمه الله –: " فاعلموا أن الله تعالى خالق أكساب الخلق ومحدثها من العدم إلى الوجود وجاعلها كسبا لهم، والعبد مكتسب غير خالق، والباري خالق غير مكتسب، ومعنى الخلق هو الإحداث من العدم إلى الوجود، ومعنى الكسب ما تعلقت به قدرة حادثة والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الرعد: من الآية 16]. فبين أن كل مخلوق فالله تعالى خالقه ولا خالق غيره وقال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96]. فأخبر الله سبحانه بأنه خالق أعمالهم كما أنه خالق أنفسهم وأعيانهم، ولان من شرط الخالق أن يكون عالما بما خلق، فلو كان العبد خالقا لكسبه وفعله لكان يعلم عدد حركاته وسكناته وسائر الأوصاف الراجعة إلى ذاته، وإذا رجع إلى نفسه علم بالضرورة أنه لا يعلم ذلك؛ فثبت أن الخالق هو الله تعالى وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك:13]. فبان أن الخالق لا بد أن يكون عالما بما خلق؛ لأنه لو صح وجود الخلق ممن لا يعلم خلقه لصح وجود أفعال ممن ليس بعالم أصلا؛ فيؤدي إلى إبطال الإلوهية وذلك محال ".(38)

قال الإمام الطحاوي – رحمه الله –: " خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارا، وضرب لهم آجالا، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ،وأمر أن يخلقهم وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله لهم كان وما لم يشاء لم يكن يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا ،وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو متعال عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره، آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده".(39)

قال الإمام النسفي – رحمه الله –: " والله تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، وهي كلها بإرادته ومشيئته وحكمته وقضائه وتقديره، وللعباد أفعال اختيارية يثابون عليها ويعاقبون عليها، والحسن منها برضائه تعالى، والقبيح منها ليس برضائه، وما يوجد من

الألم في المضروب عقب ضرب الإنسان والانكسار في الزجاج عقب كسر الإنسان كل ذلك مخلوق لله تعالى لا صنع للعبد في تخليقه".(40)

قال الإمام اللقاني – رحمه الله –:

فخالق لعبده وما عمل	**موفق لمن أراد أن يضل**
وخاذل لمن أراد بعده	**ومنجز لمن أراد وعده**
فوز السعيد عنده في الأزل	**كذا الشقي ثم لم ينتقل**
وعندنا للعبد كسبا علما	**ولم يكن مؤثرا فلتعرفا**.(41)

الخاتمة:

بعد إتمامي البحث بفضل الله تعالى توصلت إلى:

١ –أصل مسالة الكسب، هو القول في: خلق الأعمال، وعدمه بين الجبرية والقدرية، وقد تمسك كل طرف بآيات وأحاديث، دون الجمع بينهما كما فعل أهل السنة والجماعة. وأمر الكسب معقد وشائك، و مهم جدا في الوقت نفسه، ومعرفته واجبة على من تفرغ لهذا العلم خاصة.

٢ –خلافا لمن قال: لا يجوز الخوض في لجة هذا الموضوع؛ أثبتنا أن الأوائل تكلموا فيه، وبينوا الحق، ابتداء من المصطفى(ﷺ)، وعهد الصحابة –رضوان الله عليهم–، والتابعين. وكان لابد ونحن نعيش الفتن، وانحطاط الهمة، وبعد الخلق عن الحق، وكثرة الفساد؛ أن نتكلم في هذه المسألة الشائكة التي تحل مشكلة، وترد على تسويغ الكثيرين ممن يرمون ما يقومون به إلى أحضان القضاء والقدر! متجاهلين ما يترتب على ذلك من هدر لحقوق الناس، وضياع للإنسان، وخسارته لآخرته.

٣ –الكسب: قطب الرحى، والدرة اليتيمة في عقد القضاء والقدر، والمحور الذي تدور حوله قضايا أيمانية كبرى، مثل: التوفيق والخذلان، وإثابة المطيع وعقوبة العاصي، ومعنى استطاعة العبد، والتكليف المناط به، والتوازن وعدم التعارض، في نصوص القرآن الكريم لأعظم ما يتعلق بالإنسان من حيث الوظيفة في الدنيا والمصير في الأخرى.. الخ.

٤ –الكسب هو قدرة العبد في محل قدرته بدون تأثير، وهو الذي نرجحه. ودليل ثبوته: العقل، والنقل، بأقسامه: الكتاب، والسنة، وأقوال العلماء.

٥ –ليست مسألة الكسب عقدية وحسب، بل تتعدى ذلك إلى الحالة التشريعية لهذا الدين، فإثبات الجبر يوجب نقض الشريعة. وتتعدى إلى الاجتماعية، فالفرد قد يعلق أفعاله السيئة والمشينة تجاه نفسه أو الآخرين على القضاء والقدر.

ولا يسعني في نهاية بحثي إلا أن أرفع يدي ذليلا، وصوتي داعيا، ومتوسلا إلى الخالق –جل جلاله– لقبول هذا العمل، الذي أتى بفضل منه تعالى ولطف، وأن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم ،غير المغضوب عليهم ولا الضالين.. آمين.

ملحق رقم(1)

فهرست تراجم الأعلام الواردة في البحث ما عدا الصحابة رضوان الله عليهم والأئمة الأربعة لأنهم معروفون ورتبت الأعلام حسب ألف باء الاسم.

الخطيب البغدادي:

أحمد بن علي بن ثابت البغدادي،أبو بكر المعروف بالخطيب،أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين من تصانيفه الكفاية في علم الرواية وموضح أوهام الجمع والتفريق مات سنة 463هجرية.ينظر:الزركلي:الإعلام ج1 ص172.

الصاوي:

أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي عالم كبير ولد سنة 1175 ومات سنة 1241 هجرية في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من تصانيفه:بلغة السالك لأقرب المسالك في فروع الفقه المالكي وحاشية على جوهرة التوحيد للقاني.ينظر:معجم المؤلفين ج 2 ص111.

البيجوري:إبراهيم بن أحمد

إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري نسبة إلى باجور بمصر ولد سنة 1198هجرية وتوفي سنة 1277هجرية له مؤلفات كثيرة منها: فتح رب البرية على الدرة البهية،ومنح الفتاح

على نور المصباح في أحكام النكاح تقلد رئاسة الأزهر سنة 1263هجرية. ينظر :الزركلي:الأعلام ج1ص66.

أبو إسحاق الاسفراييني:

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ،أبو إسحاق:عالم بالفقه والأصول كان يلقب بركن الدين نشأ في إسفرايين بين نيسابور وجرجان من مؤلفاته:كتاب الجامع في أصول الدين مات سنة 418. ينظر :الزركلي:الأعلام ج1ص61.

البيهقي:أحمد بن حسين بن علي

أحمد بن الحسين بن علي،أبو بكر من أئمة الحديث ولد في خسرو جرد تابعة لنيسابور ونشأ في بيهق قال إمام الحرمين ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي من تصانيفه:السنن الكبرى والمعارف توفي سنة 458هجرية. ينظر :الزركلي:الأعلام ج1ص116.

ابن حجر العسقلاني:أحمد بن علي بن حجر

أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني،أبو الفضل،شهاب الدين،ابن حجر من أئمة العلم والتاريخ.أصله من عسقلان(بفلسطين)ومولده ووفاته بالقاهرة من تصانيفه الكثيرة:الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ولسان الميزان توفي سنة 852هجرية.ينظر :الزركلي:الأعلام ج1ص178.

الطحاوي:أحمد بن محمد

أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي،أبو جعفر :فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر ولد ونشأ في طحا من صعيد مصر من تصانيفه:شرح معاني الآثار توفي سنة 321هجرية. ينظر :الزركلي:الأعلام ج1ص206.

ابن كثير :إسماعيل بن عمر

إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي كنيته أبو الفداء لقبه عماد الدين،حافظ،مفسر ،فقيه توفي سنة 774هجرية. ينظر الزركلي:الأعلام ج2ص85.

الحليمي:الحسين بن الحسن

الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني أبو عبد الله فقيه شافعي،قاض،كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر مولده بجرجان ووفاته في بخارى له المنهاج في شعب الإيمان ولد سنة 338 ومات سنة403هجرية.ينظر :الزركلي:الأعلام ج2 ص235.

السيوطي:عبد الرحمن

عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب له نحن 600 مصنف منها تفسير تدريب الراوي والحاوي للفتاوى ولد سنة 849 ومات سنة 911هجرية.ينظر :الزركلي:الأعلام ج3ص301.

النسفي:عبد الله بن أحمد بن محمود

عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي،كنيته أبو البركات،المفسر الجليل والعالم الكبير المتوفى سنة 710هجرية من مؤلفاته مدارك التنزيل وحقائق التأويل. ينظر :الزركلي:الأعلام ج4ص192.

ابن القيم الجوزية:محمد بن أبي بكر بن أيوب

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي،كنيته أبو عبد الله تتلمذ على يد ابن تيمية وكان لا يخرج عن شيء من أقواله من تصانيفه الكثيرة أعلام الموقعين ومتاح دار السعادة مات سنة 751هجرية. ينظر :الزركلي:الأعلام ج6ص280.

الرازي:محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الملقب زين الدين صاحب مختار الصحاح في اللغة وهو من فقهاء الحنفية وله علم بالتفسير ،والأدب مات سنة 666هجرية. ينظر :الزركلي:الأعلام ج6ص279

القرطبي:محمد بن أحمد بن محمد

محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج،القرطبي،محدث،حافظ،فقيه.وصل من الأندلس إلى المشرق فزار غزة وعسقلان وطبرية ومدن أخرى.من تصانيفه:فقه الحسن البصري في سبع

مجلدات .توفي سنة 380 وفي بعض المصادر: 315. ينظر:عمر كحالة:معجم المؤلفين ج5ص19

البخاري:محمد بن إسماعيل

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبخاري،الجعفي(أبو عبد الله)محدث،حافظ ،فقيه،مؤرخ من تصانيفه الكثيرة:الجامع الصحيح،التاريخ الكبير توفي سنة: 256 هجرية. ينظر:عمر كحالة:معجم المؤلفين ج5ص25.

الطبري:محمد بن جرير الطبري

محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر مفسر ،مقرئ،محدث،مؤرخ،فقيه ،أصولي،مجتهد.ولد بآمل طبرستان .من تصانيفه: تاريـــــخ الأمم والملوك،وتهذيب الآثار توفي سنة 310هجرية. ينظر :عمر كحالة:معجم المؤلفين ج5ص147.

المناوي:محمد عبد الرءوف

محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري زين العابدين:من كبار العلماء بالدين والفنون انزوى للبحث والتصنيف وكان قليل الطعام كثير السهر له نحو ثمانين مصنفا منها التيسير وفيض القدير وشرح الشمائل للترمذي والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية المتوفى سنة وولد سنة 952هجرية المتوفى سنة1031هجرية.ينظر:الزركلي:الأعلام ج6ص204.

الرازي:محمد بن عمر بن الحسن

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري،المكنى بأبي عبد الله الملقب بفخر الدين الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ولد سنة 544هجرية وتوفي بهراه سنة 606هجرية من مؤلفاته: معالم أصول الدين. ينظر:الزركلي:الإعلام ج7 ص203

الحاكم:محمد بن عبد الله

محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الظبي النيسابوري الشهير بالحاكم أبو عبد الله،من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه مولده ووفاته في نيسابور ولد سنة 321ومات سنة 405هجرية من

تصانيفه:المستدرك على الصحيحين والمدخل وتراجم الشيوخ.ينظر :الزركلي:الأعلام ج 6 ص227.

الزمخشري:محمد بن عمر الخوارزمي

محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري،جار الله،أبو القاسم:من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب ولد في زمخشر من قرى خوارزم،من تصانيفه:أساس البلاغة والمفصل ونابغ الكلم مات سنة 538هجرية. ينظر :الزركلي:الأعلام ج7ص178.

الترمذي:محمد بن عيسى

محمد بن عيسى بن سورة بن موسى،أبو عيسى محدث،حافظ،مؤرخ،فقيه من تصانيفه :الجامع الصحيح وكتاب الشمائل المتوفى سنة 279 هجرية.ينظر :عمر رضا كحالة:معجم المؤلفين ج 9 ص104.

السنوسي:محمد بن يوسف

محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني،من جهة الام أبو عبد الله :عالم تلمسان في عصر هو صالحها من مؤلفاته:العقيدة الكبرى وأم البراهين مات سنة 895هجرية. ينظر :الزركلي:الأعلام ج7ص154.

الآلوسي:محمود بن عبد الله الآلوسي

محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي،شهاب الدين،أبو الثناء،مفسر،محدث،أديب تقلد الإفتاء ببغداد سنة 1248 هجرية من كتبه نشوة المدام في العود إلى دار السلام والمقامات في التصوف مات سنة 1270هجرية. ينظر :الزركلي:الأعلام ج7ص176.

مسلم:مسلم بن الحجاج بن مسلم

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري كنيته أبو الحسين ولد بنيسابور سنة 204هجرية أجمع العلماء على مكانته وعلو قدره له مصنفات منها المسند الكبير والعلل وكتابه الصحيح من أشهر كتبه توفي سنة261هجرية .ينظر :الذهبي:تذكرة الحفاظ ج2 ص150.

النووي:يحيى بن شرف

يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي النووي الشافعي أبو زكريا محي الدين:علامة بالفقه والحديث مولده في نوى سنة 631 ومات سنة 676هجرية من تصانيفه:تهذيب الأسماء واللغات ومنهاج الطالبين وتصحيح التنبيه.ينظر:الزركلي :الأعلام ج8 ص149.

هوامش البحث

1) أخرجه البخاري في صحيحه 2434/6،كتاب القدر،باب جف القلم على علم الله ،الحديث: 6223 (تح : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،ط3، 1407 – 1987،6ج)

2)أخرجه مسلم في صحيحه 2041/4،كتاب:القدر ،باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتـابة رزقه وأجـــله وعـــمله وشقاوته وسعادته ،الحديث: 2650 (تح : محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر:دار إحياء التراث العربي – بيروت،5ج)

3)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى 204/10 ،كتاب:الشهادات،باب: ما ترد به شهادة أهل الأهواء،الحديث: 20663(تح : محمد عبد القادر عطا ،الناشر:مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، 1414 – 1994،10ج).

4)ا لاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث/البيهقي: أحمد بن الحسين 162/1(تح : أحمد عصام الكاتب، الناشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت،ط1،1401،1ج).

5)م.ن.

6)تحفة المريد/البيجوري:إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي، ص119(الناشر:مط السعادة، مصر ،ط1375،2 هجري–1955 م).

7)شرح العقائد النسفية/التفتازاني: سعد الدين، ص 96(الناشر: مط دار أحياء الكتب العربية،مصر،ط1).

8)تحفة المريد /البيجوري: إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي، ص 119. ولم أجد لهذه الأبيات نسبة إلى قائلها بالتعيين.

9)م.ن.

10)م.ن.

11) النظام الفريد /عبد الحميد: محمد محي الدين، ص 141(الناشر: مط السعادة،مصر ،ط2،1375 هجرية–1955 م).

12) الإرشاد إلى قواطع الأدلة/الجويني:عبد الملك، ص 217 (تح:محمد يوسف وعلي عبد المنعم،مصر ،الناشر :مكتبة الخانجي،ط1، 1369–1950، 1مج).

13) النظام الفريد /عبد الحميد: محمد محي الدين، ص141..

14)الإرشاد إلى قواطع الأدلة/الجويني:عبد الملك، ص217

15)حاشية الصاوي على الخريدة البهية/الصاوي: أحمد، ص 81(مط محمد علي صبيح،مصر ،ط1،1354 هجرية–1935 م).

16)اخرجه البخاري في صحيحه 376/1 ،كتاب: الصلاة ، باب: إذ لم يطق قاعدا صلى على جنب ،الحديث: 1066.

17)النظام الفريد/عبد الحميد:محمد محي الدين، ص.141

18) الروضة البهية/بن أبي عذبة: حسن بن عبد المحسن ص 67 (تح:د.علي فريد حروج ، بيروت–لبنان ، دار سبيل الرشاد،ط1،1416 هجرية–1996 م،1ج).

19)ينظر: شرح العقائد النسفية/التفتازاني: سعد الدين، ص101وما بعدها.

20)ينظر:الروضة البهية/بن أبي عذبة، ص.76

21)م.ن.

22) ينظر:كبرى اليقينيات الكونية/البوطي:محمد سعيد ص177(بيروت، دار الفكر، ط3،1394 هجرية–1973م)

23)النظام الفريد/عبد الحميد، ص .141

24)أخرجه مسلم في صحيحه 1994/4،كتاب: البر والصلة والآداب ،باب: تحريم الظلم ،الحديث: .2577

25)شرح جوهرة التوحيد الكيلاني/ محمد أديب ص 221–223(دمشق، ط1، 1392هجرية – 1972م) .

26) كبرى اليقينيات الكونية/البوطي:محمد سعيد ص177.

27) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر.ج3 ص 431(تح: احمد عبد العليم البردوني ، القاهرة ، دار الشعب، ط1372،3 هجرية–1973م).

28)أخرجه البخاري في صحيحه: 1 /458 ،باب: موعظة المحدث عند القبر ، الحديث: 1296 وأخرجه مسلم في صحيحه: ص 1379 ،كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتاب رزقه، الحديث: .2647

29)شرح صحيح مسلم/النووي: يحيى بن زكريا،ج 1 ص155(بيروت ، دار أحياء التراث،ط1392،2هجرية–1972م).

30)أخرجه البخاري في صحيحه: 1212/3 ،كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم،الحديث: 3154 ومسلم في صحيحه: ص 1377، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتاب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته،الحديث: .2643

31) شرح النووي على صحيح مسلم / النووي ،ص487ج16.

32)ينظر:شرح العقائد النسفية/التفتازاني:سعد الدين، ص .96

33)ينظر: النظام الفريد/عبد الحميد:محمد محي الدين ، ص.141

34) م.ن.

35)شرح العقائد النسفية/التفتازاني:سعد الدين، ص.96

36)شرح على شرح التفتازاني للعقائد النسفية /عصام الدين: إبراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني ص .96

37)القول الوافي شرح الفقه الأكبر للأمام أبي حنيفة/السنجاري: محمد بن ياسين ص 50-51(بغداد ، مط الشعب، ط1، 1989م).

38) الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكبر/السنجاري: محمد بن ياسين ص 85-86(بغداد ، مط الشعب، ط1،1989 م)..

39) العقيدة الطحاوية/الطحاوي: أحمد بن محمد ص 17(بيروت ،مؤسسة الريان،ط 1، 1414هجرية-1994 م)..

40)متن النسفية المشروح من قبل الدكتور الشيخ عبد الملك عبد الرحمن السعدي ص 103-111.

41)متن جوهرة التوحيد/ الموجود في نهاية تحفة المريد للإمام البيجوري ص 241.

المصادر والمراجع

1)إتحاف المريد بجوهرة التوحيد/اللقاني: عبد السلام بن إبراهيم/مطبعة السعادة/ط 2-1375 هجري-1955 م/مصر.

2)الإرشاد/الجويني: عبد الملك بن عبد الله مكتبة الخانجي/ط 1-1369 هجرية-1950 م/مصر تحقيق:د.محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد.)

3)الاعتقاد على مذهب السلف/البيهقي: أحمد بن الحسين/دار العهد الجديد/ط 1-1379 هجرية-1959 م/تحقيق: أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري.

4)الأعلام/الزركلي: خير الدين الزركلي/دار العلم للملايين/بيروت-لبنان/ط5-1980 م.

5) الله والإنسان/الخطيب:عبد الكريم/دار المعرفة/ط3-1395 هجرية-1975 م/بيروت-لبنان.

6)تحفة المريد/البيجوري: إبر اهيم بن محمد بن أحمد الشافعي/دار الكتب العلمية/ط 1-1422 هجرية-2001 م/بيروت-لبنان.

7)الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري/البخاري: محمد بن إسماعليل/دار ابن كثير/ط 3-1407 هجرية-1987 م/بيروت-لبنان تحقيق:د.مصطفى ديب البغا.

8)الجامع لأحكام القرآن/القرطبي:محمد بن أحمد بن أبي بكر/دار الشعب/ط 2-1372 هجرية/القاهرة-مصر تحقيق: احمد عبد العليم البردوني.

9)الجوهرة في قواعد العقائد/الجزائري: طاهر/دار القلم/ط 1-1421 هجرية- 2000 م/دمشق- سوريا تصيح وتعليق: حسن السماحي سويدان.

10)حاشية على متن السنوسية/البيجوري: إبر اهيم بن محمد بن أحمد الشافعي/ مطبعة مصطفى بابي الحلبي/ط1-1354 هجرية-1935 م/مصر.

11)حاشية الصاوي على الخريدة البهية/الصاوي: احمد/مطبعة محمد علي صبيح/ط 1-1354 هجرية-1935 م/مصر.

12)الروضة البهية/بن أبي عذبة: حسن بن عبد المحسن/دار سبيل الرشاد/ط 1-1416 هجرية- 1996 م/بيروت-لبنان تحقيق:د.علي فريد حروج.

13)شرح التفتازاني على العقائد النسفية/التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر/مطبعة دار أحياء الكتب العربية/ط1/مصر.

14) شرح جوهرة التوحيد/الكيلاني: محمد أديب/ط1-1392 هجرية-1972 م/دمشق-سوريا.

15) شرح صحيح مسلم النووي: يحيى بن زكريا/دار أحياء التراث/ط2-1392/بيروت-لبنان.

16) شرح على شرح التفتازاني للعقائد النسفية/عصام الدين:إبراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني/دار إحياء الكتب العربية/ط1/مصر.

17) شرح النسفية في العقيدة الإسلامية/السعدي:عبد الملك عبد الرحمن/ دار الأنبار/ط1-1408 هجرية-1988 م/بغداد- العراق.

18)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/الجوهري:إسماعيل بن حماد/دار العلم للملايين/ط 2- 1399 هجرية-1989 م/بيروت-لبنان تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

19) صحيح مسلم/مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم/دار ابن رجب/ط 1-1422 هجرية-2002 م/المنصور-بغداد.

20) العقيدة الطحاوية/الطحاوي: أحمد بن محمد/مؤسسة الريان/ط 1-1414 هجرية- 1994 م/بيروت-لبنان.

21) فتح الباري شرح صحيح البخاري/العسقلاني: أحمد بن على/دار المعرفة/ 1379 هجرية- 1989 م/بيروت-لبنان تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب.

22) الفرق بن الفرق/البغداد ي:عبد القاهر/مكتبة نشر القافات الإسلامية/ط 1-1397 هجرية- 1979 م/القاهرة-مصر.

23) القول الموفي شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة/السنجاري:محمد بن ياسين/مطبعة الشعب/ط1-1989 م/بغداد-العراق.

24) كبرى اليقينيات الكونية/البوطي:محمد سعيد رمضان/دار الفكر/ط3-1394 هجرية/بيروت-لبنان.

25) الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكبر للإمام الشافعي/السنجاري:محمد بن ياسين/مطبعة الشعب/ط1-1986 م/بغداد-العراق.

26) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/عبد الباقي:محمد فؤاد/ط 1-1406 هجرية- 1986 م/بيروت-لبنان.

27) النظام الفريد/عبد الحميد:محمد محي الدين/مطبعة السعادة/ط 2-1375 هجرية- 1955 م/مصر